مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

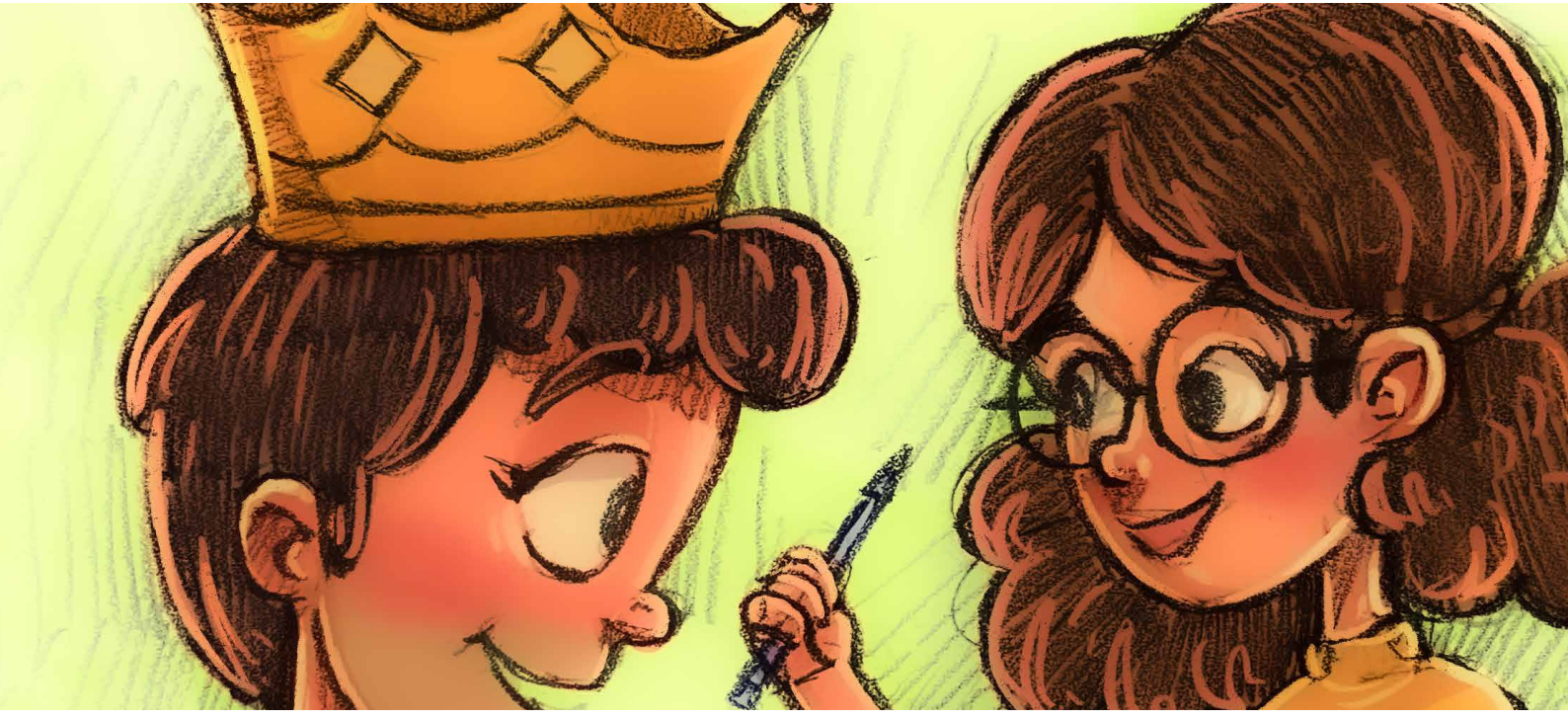

أمير الزمان يبحث عن شاعرة

عن قصة الأطفال العالمية "ساندريلا"

بقلم: ساما عويضة

أمير الزمان يبحث عن شاعرة

عن قصة الأطفال العالمية "ساندريلا"

تأليف: ساما عويضة

رسومات: خالد جرادة

تصميم: عماد ابوبكر

الطبعة الثالثة 2021

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية
آب 2014

كانت «صفاء» منشغلة في القراءة كعادتها، بينما كانت شقيقتاها «هناء» و«سناء» مشغولتين تماما في اختيار أجمل الملابس والتّفنّن في وضع مساحيق الزّينة وما يتناسق معها من أثمن المجوهرات ...

لم تأبه «صفاء» لما يجري من حولها وكان كل همّها أن تسترق بعض الهدوء لتركّز في قراءة كتابها... فذاك الكتاب يروي نضالات الشعوب التي كافحت ضد الاستعمار «وصفاء» كانت دوماً مغرمة بقراءة قصص الشعوب المناضلة كفلسطينية تنتمي لشعب مناضل..

وبينما كانت «صفاء» غارقة في القراءة جاءها صوت أمّها مناديا:

صفاء...يا صفاء...أين أنت يا ابنتي؟

أنا هنا..في الحديقة يا أمّي

ولكن قد حان موعد الحفل وأنت لم ترتدي ملابسك بعد، ولم تسرّحي شعرك...ما الذي أصابك يا صفاء، هيا أسرعي...

ولكنني لا أرغب في الذهاب يا أمي

ماذا قلت؟!...لا ترغبين في الذهاب؟!...ألم تسمعي بأن ابن صاحب المزرعة الكبيرة «أمير» قد عاد من أوروبا يحمل أعلى الشهادات، وأنّ والديه قررا أن يزوجاه، فنظما هذا الحفل لاختيار عروسه من بين الجميلات في هذه البلاد...أسرعي يا ابنتي فقد يختارك أنت أو يختار «هناء» أو «سناء»... علما بأنني على يقين بأنه لن يكون من نصيبك، فمن غير المعقول أن يرى «هناء» أو«سناء» ويختارك أنت، لأنّك لا تهتمين بجمالك كما تفعل شقيقتاك، ولكن على الأقل كوني معنا، حتى لا تقولي أننا ظلمناك، فكل بنات البلد ستحضرن هذا الحفل للتنافس على «أمير» ابن الحسب والنسب، لتنعمن بأملاكه وماله الذي لا تستطيع أن تأتي عليه النيران...

حسنا يا أمي، أنت قلتها بنفسك، بأنه سيختار «سناء» أو «هناء» أو أي واحدة أخرى غيرهن...

لا تكملي، لا يوجد أخرى غير بناتي...بناتي هنّ أجمل بنات البلد، ولكن المشكلة أنك أنت المحبوبة لدى الجميع وأنا لا أعرف لماذا يحبّونك والحال أنّ أختيك أكثر حسنا وجمالا...أحظ هذا أم هو غباء أهل هذا البلد؟!

حسنا، سيختار من بناتك أنت، وأنا سأترك الفرصة لهناء وسناء...، أما أهل البلد فيحبونني لأنني أحبهم، ولأنني أشعر دوما بأنني منهم، ولست مثل «سناء» أو«هناء» اللّتين لا تؤدّيان التحية ولا تبادران أيّ أحد بسلام .. تجلسان في البيت دون وظيفة أو عمل، تظنان أنهما أفضل من أهالي البلد، في حين أن كل أهل البلد أهلنا وأحبتنا وليس لنا عنهم من بديل مهما حاولنا أو مهما تغيّر الزمن...

أوف..أنت فعلا عنيدة وعلى ما يبدو أنك لا تفهمين، وقد مللت وعظك وإرشادك وتركت لك البلد وأهلها فاشبعي بحبهم وعطفهم كما تحبّين...

وهنا وصل الأب يستوضح الأمر:

ماذا هناك؟!

لا أريد أن أحضر الحفل يا أبي

ومن قال أن لك الخيار؟!..كل ما عليك هو الانصياع..هيا انهضي والبسي أجمل ما عندك

ولكن يا بابا...

لا بابا ولا ماما...هيا

حسنا، على ما يبدو أنكما قد اتفقتما

دخلت «صفاء» إلى غرفتها ولبست ملابسها العادية، وسرّحت شعرها تسريحته اليومية، وخرجت وسط ضحك شقيقتيها اللتين تعودتا أن تهزآ منها ومن طريقة لبسها المختلفة، و ما أن رآها والدها حتى نهرها قائلا: «عودي إلى غرفتك والبسي لباسا أنيقا، أفهمت» يا شقية؟!...

عادت «صفاء» إلى الغرفة ولبست فستانا أنيقا، ووضعت بعض المكياج على وجهها وعادت متسائلة إن كانت تعجب أعضاء أسرتها المتعالية.

فأجابتها «سناء» قائلة: «يعني...المهم أن لا نتأخر عن الحفل»

ثمّ خرج الجميع...

وهناك في حديقة القصر، كانت الأضواء تملأ المكان، والموسيقى تسمع من مسافات بعيدة، ومن موائد الطعام والفاكهة والحلويات ما تشتهيه النفس ...

أما الساحة فقد كانت تعج بالفتيات ترتدين أجمل ما لديهن من ملابس...

وبينما كان الكل مشغولا بالحفلة، جلست «صفاء» لوحدها تحت شجرة، فلم تعجبها هذه الأجواء ولم تثر شعورها، فأخذت لنفسها طعاما، وانزوت لوحدها ترقب بعض الحركات وتستمتع بجمال المكان...

شعرت بالملل، فتجولت بالحديقة الجميلة تتذوق سحر ما فيها من زهور وطير وشجر... ومن ثمّ فتحت حقيبتها وأخرجت ورقة وقلما، وكتبت أبياتا شعرية في وصف المكان بأروع الصّور... متمنية لو كان مثله متاحا لكل أطفال البلد، كي يلعبوا به بعيدا عن مخاطر الطرقات وتحرّشات الجيش والمستوطنين التتر... وتمنت لو أن شوارع بلادها تنبعث منها الألحان وروائع الموسيقى بدلا من أزيز الرصاص ودويّ القنابل ، وأن تمتلىء بعطر الأزاهير بدلا من الغازات الخانقة والدخان القاتل ، وأن يتجول فيها الناس بحرية دون داع للوقوف على الحواجز العسكرية بانتظار إشارة من جندي إسرائيلي فرضوه غصبا على هذه الأرض الطيّبة ...

وبينما هي غارقة في الكتابة، جاءها صوت أبيها ساخطا: «أين أنت يا فاشلةّ؟

خافت «صفاء» أن يرى أي من والديها الورقة، فرمتها بخفة تحت الشجرة... وعادت مع أبيها لتستأنف السهرة...

صامتة جلست بقرب والديها...إلى أن حان موعد الذهاب فعادت إلى البيت مع أسرتها...

في صبيحة اليوم الموالي، وبينما كان الخدم مشغولين بتنظيف القصر، خرج «أمير» يتجول في حديقة قصره، فوقعت عينه على ورقة مثنية، ملقاة تحت الشجرة...

التقط الورقة باستغراب، وفتحها بهدوء...وقرأها فأعجب بما فيها ، ثمّ أعاد قراءتها في تـأنّ وإعجاب...وعندما أراد أن يعرف من كتبها أو كتبتها، نظر إلى التوقيع فوجده كالتّالي:

«فتاة فلسطينية».

ترى من التي كتبت هذه الأبيات الشعرية الجميلة، ذات المعاني الإنسانية النبيلة؟!

ذاك كان سؤاله الذي قرّر أن يجد له جوابا وهو «أمير» الغنيّ المقتدر ، صاحب الأمر والنّهي ، يطلب فيطاع ...

وضع الورقة في جيبه، وانطلق يبحث عن صاحبة الأبيات التي تركت أثرها في قلبه...

استفسر من الأصدقاء، من الأهل والجيران، ممّن يعرف وممّن لا يعرف: من تكون الشّاعرة ؟ من تكون صاحبة الكلمات الرّائعة ؟ من تكون هذه التي تفكّر وتكتب بهذا الحسّ الإنساني المتميّز ؟

لم يجد إلى الجواب طريقا... وظّل حائرا يبحث عن صاحبة الأبيات، يساعده في ذلك بعض الأصدقاء...

طال الأمد وبدأ يفقد الأمل... أعاد قراءة الأبيات مرّات ومرّات، كتب الإعلانات وشهر الأمر بأسواق المدينة يرصد الجوائز الثّمينة لمن يعثر عن الشّاعرة المتخفّية، ولكنّ دون النّتيجة ...

وذات يوم بينما هو في هيامه سمع أصوات أطفال تردّد شعرا يشبه في مضمونه ما تناولته ورقة الشّاعرة المتخفّية... ، اتّجه نحوهم، سلّم بأدب وسأل: سمعتكم تغنّون شعرا أعجبني، هل يمكنكم إسماعي إياه ثانية

فأكون لكم لشكور...

غنّى الأطفال في غير تردّد وأنشدوه من الأبيات التي سمع وكان مهتمّا كثير الإعجاب...، استمال اهتمامهم وكسب ودّهم فارتاحوا إليه... تحادثوا في كثير الأمور وفي شؤون الدّراسة والمدارس والمعلّمين والمعلّمات، وفي الغناء وفنون الشّعر... ، سألهم: من صاحب الكلمات التي أنشدتموني إياها؟...

فأجابه الأطفال بصوت واحد وبلا تردد أو انتظار...»صفاء» شاعرة الحب والحنان التي تحدّثنا دوما عن الأمل والحب وعن الشعوب التي قاومت الغزاة وهزمتهم...

«صفاء»..ولكن من تكون صفاء هذه ؟

«صفاء» معلمتنا التي علّمتنا حب الناس، وحب الشعر، وحب الأوطان...»صفاء» التي علّمتنا كيف نجعل من الكتاب رفيقا لنا دائما في هذا الزمان العصيب...وشجعتنا على أن ندافع عن حقوقنا بناتا كنّا أم أولادا...

انطلق «أمير» إلى المدرسة، ودون أن يسأل عرفها في الحال... فقد كانت جالسة وبيدها كتاب... وبين الفينة والأخرى تسجّل ملاحظات على دفتر صغير...

اقترب منها ونظر في سرّ إلى دفتر الملاحظات ، فتأكّد منها في الحال ... إنها خطوط تشبه تلك التي يحتفظ بها ويبحث عن صاحبتها بإصرار...

هل لي أن أحظى بمعرفتك ؟ «سألها بصوت هادئ »

أنا أعرفك ... لقد صادف أن رأيتك ليلة الحفل الذي نظّمتم ...

ولكنني لم أرك ولم أتعرّف إليك ، فهل حقا كنت من بين المدعوات؟

نعم

- وهل أعجبك؟

كان حفلا رائعا ... تهانينا إن كنت قد اخترت فعلا شريكة حياتك من بين المدعوّات ...

- شكرا ، ... شكرا ، ... ولكنّني ...

لكنّك ماذا ؟ ...

- أنا معجب جدّا بغير الذي قصدت ...

لم أفهم ...

- أنا معجب جدّا بشاعرة تركت شعرها على ورقة ملقاة تحت الشجرة في حديقة القصر

خيّم الصّمت لحظة ... ، انقطع الكلام ، ... ،

أنا أيضا أحبّ الشّعر وفنونه ...

- أنت شاعرة ، ... أقصد " أنت الشّاعرة " ؟

نعم ...

- ... هل ممكن أن نكون أصدقاء ؟

بالطبع، ما دمت تحبّ الشعر، فمن الممكن أن نتبادل بعض القصائد الشعرية ..فأنا لدي كمّ كبير من كتب الشعر ودواوينه...

ودار بينهما حديث وكلام...وانتهى بصداقة طويلة ما لبثت أن تحوّلت إلى قصة حب فزواج... وأثمر الحبّ بنتا وولدا ربياهما على العطف والحنان وحبّ النّاس، يدفعان الشّرّ بالخير ويبدّدان الجهل بالعلم...

مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

Main Office المكتب الرئيسي
القدس، ضاحية البريد
عمارة الحرباوي، الطابق الأول
Jerusalem, Dahiyat Al-Bareed,
Al-Hirbawi Building, 1st floor
director@wsc-pal.org
+972 2 234 8848

Ramallah Office مكتب رام الله
عمارة البنك العربي،فرع البلد
رام الله التحتا، الطابق الثالث
Ramallah Al-Tahta,
Arab Bank Building, 3rd floor
accountant@wsc-pal.org
+970 2 295 1351

Nablus Office مكتب نابلس
نابلس، شارع البساتين
مجمع البساتين التجاري، ط6
Nablus, Al-Basateen Street
Al-Basateen Building, 6th floor
north@wsc-pal.org
+970 9 2375545

Hebron Office مكتب الخليل
مجمع الرشاد التجاري، الطابق الخامس
Al- Rashad Ttrade Centre, 5th floor
south@wsc-pal.org
+970 2 229 4007

wsc-pal.org WscPal

مركز الدراسات النسوية
Women's Studies Centre

جميع الحقوق محفوظة © مركز الدراسات النسوية